فى الطريق . .

مسرحية ذات فصل واحد

للأستاذ خلف القاضى

المدرس بمدرسة فاروق الأول

تقدمة : كان اليوم الذى خرج فيه النبى مهاجرا إلى المدينة - نهاية لثلاثة عشر عاما ، من المحن الشداد ، احتملها النبى الكريم فى سبيل الدعوة إلى الحق ، معتصما بالصبر والايمان

فى ذلك اليوم الخائف استحالت مكة الظالمة ، جبلا من النار ، ونطاقا من السعير يسد عليه طريق النجاة والخلاص ، فكان يخطو فى طرقها على أرض تموج بالفتنة ، وتنتظره أرصاد المنايا فى كل مكان .

ثم انطلق محمد وصاحبه ودليله على عيون المشركين فى الطريق الموحش إلى يثرب دار الأمان . .

وكأن هؤلاء الناجين بدين الله لم يكادوا يدخلون فى غيب الطريق ، حتى انشقت الصحراء عن بيت منعزل ، ليس فيه غير امرأة نصف ، وشاة هزيلة . يتمثل فيهما بؤس البادية .

وفى ظلال هذه الخيمة ، وقعت القصة .

وكانت البركة ، وتمت المعجزة للرسول الأعظم .

إننى راحل إليه ! !

المنظر : « فى البادية ، خيمة ، فيها امرأة ، وشاة ، ومتاع »

رجل : « يقبل ، وعليه ملامح الصحراء ، ومعه عصا طويلة »

أم معبد : « تستقبله خارج الفناء »

أين غنمك يا أبا معبد ؟ ! .

أبو معبد : خلفتها فى المرعى ، يحرسها معبد .

أم معبد : ألا تخاف أن يأكله الذئب ؟

أبو معبد : لقد كبر معبد ، وأصبح فتى لايخاف الذئاب ، ولايخاف عليه .

أم معبد : « وقد ظهر على وجهها الحزن »

أراه بعيداً منا ؟ ! .

أبو معبد : لاتحزنى ! إن معه القوس والسهام ، وإنى لانتظر نداءه لو أصابه مكروه ! . . .

ألا قليل من التمر ، يا أم معبد ؟ إن بى لظاماً وجوعا .

أم معبد « تبتسم ، وتدخل الخيمة ، وترفع غطاء الاناء المملوء باللبن »

أبو معبد : ياعجبا ! لبن ! . من أين لك هذا يا أم معبد ، والسنة جدباء ولاحلوبة فى الدار ؟ ! .

أم معبد : لا والله . إنه مر بنا رجل مبارك ، وعلى يديه فاض هذا اللبن .

أبو معبد « فى همس » ماأقل ما يمر بنا هنا رجل ! ! . حدثينى أكان وحده ؟ ! .

أم معبد : بل كان معه رجلان : أما أحدهما فقصير القامة ، أسمر اللون ، وكان يمشى أمامه ، يرود الطريق .

أبو معبد : نعم ! نعم ! . إنه رائد هذه الطريق ، وإنى لأعرفه .

إنه هو عبيد الله بن أريقط ! .

أم معبد : وأما الثانى ، فكان أبيض اللون ، نحيفا ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، معروق الوجه ، خفيف العارضين .

أبو معبد : « فى همس »

أبيض ، معروق الوجه ، خفيف العارضين . . . .

إنه هو صاحبه ورفيقه الذى رحل معه إنه .

أم معبد : نعم ! هو من تظن . إنه أبو بكر ، فقد سمعت صاحبه يقول له : —

— وقد سألنى عن لحم قديد ، فلم يصب عندى — سلها يا أبا بكر عن التمر .

أبو معبد : أسفا ! فان الأزمة ، لم تترك لنا فضلا من الخير والجمد .

أم معبد : لا ! بل الخير كل الخير ، والبركة كل البركة ، جاءت مع الرجل الثالث .

أبو معبد : حدثينى . وكيف ؟ ! .

أم معبد : بعد أن عز القديد والتمر ، نظر هذا الرجل المبارك ، إلى الشاة ، التى خلفها الهزال عن الغنم ، وقال :

هل بها من لبن ؟ . قلت : هى أجهد من ذلك ! .

أبو معبد : ياليتها يا أم معبد ! . ياليت بها حلباً ! . . .

أم معبد : صبراً . فاستأذن منى أن يحلبها . قلت : بأبى وأمى أنت ! . نعم ! وإن رأيت بها من حلب فافعل ! .

أبو معبد : ومن أين ياأم معبد ؟ . ومن أين الدر والحلب ؟ .

أم معبد : فمسح ضرعها ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ودعا بدعاء . لم أسمع مثله من قبل ! وددت لو سمعته ، ياأبا معبد ! ! . .

أبو معبد : وددت . ولكن أتمى حديثك ! .

أم معبد : فما هو إلا أن سمى . ومسح ضرعها ، ودعا ، حتى اجترت الشاة ، ودرت اللبن ، وكثر وسال على الأرض ، وطلب إناء كبيرا ، يكفى جماعة كثيرة ، وحلب ، وحلب ، حتى فاض الاناء من حافاته . . .

أبو معبد : ياعجبا ! . ماذا تقولين يا امرأة ؟ ! .

أم معبد : وهل جربت على كذبا ؟ :

أبو معبد : وأيهم شرب قبل صاحبيه ؟ .

أم معبد : سقانى ، حتى رويت ، ثم سقى صاحبيه ، حتى رويا ، ثم شرب آخرنا ، وقال : « ساقى القوم آخرهم »

أبو معبد : نعم السيد . ذلك الرجل ! .

« يلتفت مشيرا »

وهذا اللبن بقية الشراب ؟ .

أم معبد : وددت لو رأيت ! شربنا جميعا ، علا بعد نهل ، وحلب وشربنا ، ثم حلب ثالثا ، عوداً على بدء ، حتى امتلأ الاناء ، وفاض ، وتركه لنا .

أبو معبد : ثم ماذا ؟ ! .

أم معبد : بعد أن رأيت ما رأيت ، بايعته على دينه ، وأمرنى بالصلاة ، وأسلمت وجهى لله رب العالمين ! .

أبو معبد : فديتك يا أم معبد ! هل لك أن تصفيه لى ؟ فقد اشتقت أن أراه .

أم معبد : رأيت رجلا ، ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صقلة ، وسيما قسيما .

. . .

فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة . أحور ، أكحل ، أزج ، أقرن .

. . .

إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس ، وأبهاه من بعيد ، وأحسنه من قريب .

. . .

حلو المنطق ، فصل . لانزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن رعة .

لاتبغضه من طول ، ولا تقتحمه العين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدا .

• • •

له رفقاء يحفون به . إن قال : أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا الى أمره . محفود محشود . لاعابس ولا مفند .

أبو معبد : هو والله صاحب قريش . إنه محمد الذى سمعنا بأمره فى مكة ، وتجاوبت أنباءه الفلوات ! .

أم معبد : أكنت تعرفه من قبل يا أبا معبد ؟ . وهل أراك تؤمن به ، لو لقيته ؟ ! .

أبو معبد : ليتنى ! ليتنى ياأميمة ! . ولو رافقته لا لتمست . صحبته ! .

أم معبد : أوتها جرمعه . وتضرب فى شعاب الوادى ؟ .

أبو معبد : نعم ! وليتنى أدركه إن عدوت ! .

أم معبد : هيهات ! لقد غادر المكان ، وارتحل منذ بعيد ، وما أراه الآن ، إلا على الطريق ، إلى ثنيات الوداع .

أبو معبد : ليتنى وليتك يا أم معبد ! ياليت لى قدراً ، يقربنى إليه ، ويشرفنى بصحبته !

أم معبد : . . . . . أهيىء الزاد للطريق ؟ .

أبو معبد : نعم ! وسأعد ناقتى للرحيل . !

وداعاً ، وداعاً يا أم معبد . إننى راحل إليه . ؟

صوت : ثغاء حزين من داخل الخباء ، وعدو وراء الظاعن .

أم معبد : « تقف فى طريق الشاة ، وتحول » .

— ستار —